



القديسة أولمبياس ومواجهة السلطة السياسية والدينية

د. هبة رمضان محمود العويدي

مدرس بكلية البنات - جامعة عين شمس

الملخص:

عاشت القديسة أولمبياس في النصف الثاني من القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي، ولدت في أسرة ثرية، فنعمت بحياة مترفة، ومات أبوها وهي في سن صغيرة، فورثت ثروة هائلة، فضلاً عن أنها كانت فائقة الجمال، وتزوجت من نبريديوس حاكم القسطنطينية وابن شقيق الإمبراطور ثيودوسيوس، وتوفي عنها زوجها بعد عشرين شهراً من الزواج، وبعد وفاته بدأت مرحلة الكفاح والمعاناة دفاعاً عن مبادئها، ورفضت الزواج ثانية رغم ضغوط الإمبراطور ثيودوسيوس عليها للزواج من أحد أقاربه، فقام بمصادرة ممتلكاتها حتى الوصول إلى سن الثلاثين، فلم تكثرث القديسة، ثم تراجع الإمبراطور في حكمه بعد سنوات أربع، وأعاد لها ممتلكاتها، وخلال هذه السنوات الأربع اعتادت القديسة على حياة التقشف، بعدما توطدت علاقاتها بالكثير من القديسات والقديسين الذين تعلمت منهم الحكم، والمواعظ، والزهد في الحياة، ثم أخذت تتصدق بكرم زائد من أرضها ومالها على الفقراء والمحتاجين بل والأغنياء أيضاً، فضلاً عما وهبته للكنائس ورجالها، وقام الأسقف نكتاريوس بترسيمها شماسة في كنيسة القسطنطينية؛ نظراً لما وهبته للكنيسة ورجالها، فضلاً عن تقواها وعلمها، وبعدما تقلد الأسقف يوحنا ذهبي الفم أسقفاً على القسطنطينية توطدت العلاقة بينهما؛ لتوافق أهدافهما في نبذ الحياة، والعمل على إرضاء الرب.

ثم تعرضا لعداء الكثير من رجال الدين والأساقفة الطامعين في ثروتها، بعدما أخذت بنصيحة يوحنا بآلا تنفق مالها على الأغنياء، وبعد نفى القديس يوحنا تعرضت



القديسة لمصادرة ممتلكاتها والنفي بسبب تمسكها بشرعية القديس يوحنا وعدم اعترافها بالأسقف الجديد أرساكيوس، وانقطعت أخبارها في المنفى إلا من خلال الرسائل التي أرسلها القديس يوحنا لها من منفاه. وفي هذا البحث تأمل الباحثة أن تميظ اللثام عن كثير من الجوانب الغامضة في حياة القديسة أولمبياس، وعلاقتها بالسلطة السياسية والدينية.

الكلمات الدالة: أولمبياس - شماسة - يوحنا ذهبي الفم - كنيسة - رسائل

Abstract:

St. Olympias lived in the second half of the fourth century and the beginning of the fifth century AD. She was born into a wealthy family; she enjoyed a luxurious life. Her father died when she was young, and she inherited an immense fortune. In addition, she was a georgius girl. She married Nebridius, Praefectus of Constantinople and nephew of Emperor Theodosius. Her husband died after twenty months of marriage. After his death, she began to struggle and suffer in defense of her principles. She rejected to marry again despite Emperor Theodosius' pressure on her to marry one of his relatives. He confiscated her properties until she reached the age of thirty. The saint did not care. After four years, the Emperor retracted his rule and restored to her the administration of her fortune. During these four years, the saint became accustomed to a life of austerity, after she had strong relationships with many male and female saints from whom she learned wisdom, sermons, and asceticism in life. She began to give charity from her land and money generously to the poor and needy, and even to the rich as well. In addition, she gave to churches and their men. Bishop Nectarius ordained her as a deacon in the Church of Constantinople due to her charity to the church and its men, as well as her piety and knowledge. After Bishop John Chrysostom



became Patriarch of Constantinople, the relationship between them was strengthened as their goals of renouncing life and working to please the Lord match.

Later, they were exposed to the hostility of many clergy and bishops who coveted her wealth, after she had taken John's advice not to spend her money on the rich. After St. John was exiled, the saint was subjected to confiscation of her property and exile due to her adherence to the legitimacy of St. John and not recognizing the new bishop, Arsacius. While she was in exile, her news was ceased except for letters sent to her by St. John from his exile. Therefore, in this paper the researcher hopes to uncover many mysterious aspects of the life of Saint Olympias, and her relationship with political and religious authority.

Keywords: Olympias - Deacon - John Chrysostom - Church – Letters



الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات الأجنبية التي اهتمت بتناول العلاقة الروحية الفريدة من نوعها بين القديس يوحنا ذهبي الفم^(١) والقديسة أولمبياس والرسائل المتبادلة بينهما، وفي مقدمتها رسالة ماجستير بعنوان:

"St. John Chrysostom and St. Olympias, Deaconess: a Model for the Collaboration of Men and Women in Church Ministry "

في جامعة ديتون الأمريكية University of Dayto للباحث بوير هنيور Boyer – Hunyor، ناقشت جانباً من حياة القديسة من خلال علاقتها بالقديس يوحنا كنموذج لتعاون الرجال والنساء في خدمة الكنيسة.

ومقال للمؤرخ نوزومو يامادا Nozomu Yamada بعنوان:

"Pelagius' View of Ideal Christian Women in his Letters, Critical Perspectives of Recent Pelagian Studies Comparing Chrysostom's View in his Letter to Olympias"

(١) ولد القديس يوحنا ذهبي الفم في أنطاكية بين عامي ٣٤٤م و ٣٤٧م من عائلة نبيلة، توفي أبوه وهو رضيع فاهتمت والدته به وبتعليمه، ورفضت الزواج مرة ثانية، درس المنطق، والفلسفة، والقانون، والخطابة حتى صار خطيباً موهباً، وكان يتردد على كنيسة أنطاكية طيلة ثلاث سنوات، وتلقى فيها تعاليمه الدينية، ودرس بها الكتاب المقدس، وفي عام ٣٨٣م سيم شماساً في أنطاكية، وعاش حياة شبه رهبانية حتى وفاة والدته، وبعد وفاتها عاش ناسكاً في ظل نظام غذائي فقير، وفي درجة حرارة باردة؛ لذا تعرضت صحته للخطر. انظر: يوحنا الذهبي الفم، في الكهنوت، أحاديث عن الزواج والرسائل إلى أولمبياس، تعريب الأسقف إستفانوس حداد، سلسلة آباء الكنيسة، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٠ - ١٢؛ سقراتيس سكولاستيكوس، التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب بولا ساويرس، سلسلة "المؤرخون الكنسيون الأوائل"، مشروع الكنوز القبطية، ٢٠١٧، ص ٦٠٧؛ انظر أيضاً: سهير محمد مليجي علي، الصراع بين السلطتين الدينية والسياسية في الدولة البيزنطية، يوحنا ذهبي الفم، بطريرك القسطنطينية نموذجاً، (٣٩٨ - ٤٠٧م)، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، العدد الثاني عشر (٢٠١٨ - ٢٠١٩م).



عن رؤية القديس بلاجيوس للمرأة المسيحية المثالية في رسائله، ثم يتحدث عن رؤية القديس يوحنا للنساء من خلال رسائله للقديسة أولمبياس. كما عثرت الباحثة على دراسة اقتصرت على القديسة أولمبياس للباحث مكارتي McCarty لا تتعدى ورقات قليلة بعنوان:

" The pure, Eye of her Soul: the Asceticism of the Deaconess Olympias as Reflected in the Writings of the Father, "

وهي دراسة مختصرة تعرضت لنسك الشماسة أولمبياس؛ لذا أرادت الباحثة أن تقدم دراسة وافية بقدر المستطاع عن حياتها وما تعرضت له من ظلم سواء من السلطة السياسية أو الكنسية رغم قلة المصادر التي تعرضت لها، والغموض الذي أحاط بعضاً من جوانب حياتها.

إشكالية الدراسة:

رغم مكانة القديسة أولمبياس في تاريخ الكنيسة لم نعثر على دراسة عنها في المكتبة العربية، وترجع أهميتها إلى أنها عاصرت فترة هامة من تاريخ الكنيسة شهدت توتراً وصراعاً بين المذاهب المسيحية المختلفة، فضلاً عما ألمَّ بالقديسة من ظلم واضطهاد خلال مواجهاتها بالسلطة السياسية والدينية دفاعاً عن مبادئها، وقد اتبعت الباحثة خلال هذه الدراسة المنهج التاريخي القائم على تجميع النصوص والمادة العلمية من المصادر والمراجع التاريخية ودراستها دراسة نقدية.

نشأة القديسة:

ولدت أولمبياس في عائلة ثرية عام ٣٦٨ م^(١)، والدها الكونت Count سليوقس Seleucus الذي كان عضواً برتبة رفاق الإمبراطور Comites، وصديقاً

(1) St. Chrysostom, *On the Priesthood; Ascetic Treatises; Select Homilies and letters; Homilies on the Statutes*, New York, Christian Literature Publishing, 1886, p. 310. See also: *Oxford Classical Monographs*, Oxford=



مقرباً للإمبراطور جوليان (٣٦١-٣٦٣م) Julian حيث يثق فيه إلى حد بعيد، وشارك معه في حملاته ضد الفرس، وكان وثيقاً فعينه جوليان في منصب رفيع في سلك الكهنة عام ٣٦٢م، وكان الأخير يدافع عنه ضد من يحاول الإساءة إليه؛ لتأكده من إخلاصه وأنه لا يقذف أحداً بالباطل.^(١) وهي حفيذة أبلابيوس Ablabius الوالي

=University Press, 1996, p. 178; McCarty, V.K., " The Pure , Eye of her Soul: the Asceticism of the Deaconess Olympias as Reflected in the Writings of the Father, " *Orthodox Monasticism*, New york, 2011, p.4.

- اختلف المؤرخون حول ميلاد القديسة أولمبياس، فمنهم من ذكر أنها ولدت عام ٣٦٨م، ومنهم من ذكر أنها ولدت عام ٣٦١م، ومنهم من أشار إلى أنها ولدت في وقت ما بين عامي ٣٦١م و ٣٦٨م. انظر: بالاديوس، *حوار عن حياة فم الذهب*، ترجمة هيربرت مور، تعريب بولا ساويرس، مشروع الكنوز القبطية، ١٩٢١م، ص ١٨٤؛ انظر أيضاً:

McCarty, " The Pure , Eye of her Soul," p.4.

والراجح أنها ولدت عام ٣٦٨م بناءً على تاريخ زواجها.

(1) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias vie D'Olympias*, trad.A. M. Malingrey et Anne-Marie Malingrey, Paris, 1968, p.14; Julian, *The Works of the Emperor Julian III*, trans. W.C. Wright, London, 1923, Vol. III, p. 109. See also: McCarty, " The pure , Eye of her Soul, " p.4.

- ظهر لقب الكونت أو الرفيق أو قومس Comes بعد التعديلات التي أدخلها الإمبراطور قسطنطين العظيم على سلطات الوالي البرابيتوري Praetorian perfect حيث ظهرت وظائف جديدة لشخصيات تتبع الإمبراطور مباشرة من أعوان الإمبراطور ورفاقه Comites حمل كل منهم لقب قومس، فضلاً عن لقب رسمي يدل على صلاحياته الوظيفية، وتوزعت المناصب المدنية في الحكومة المركزية على أربعة من كبار الموظفين هم: قومس الخزانة العامة، وقومس الخزانة الخاصة، والقومس المسؤول عن التشريع في البلاط الإمبراطوري، ثم القومس الذي يشغل رئيس دواوين الحكومة المركزية. انظر: بالاديوس، *حوار عن حياة فم الذهب*، ص ٧١، هامش (١٥٠)؛ انظر أيضاً وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع، بحث منشور في كتاب *بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤١-٤٢.



البرايتوري للقسطنطينية Praetorian perfect الذي كان صديقاً مقرباً للإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧م)، وغالباً ما كان يأخذ بنصيحته، وكان له دور فعال في سياسة الإمبراطور قسطنطين، وهو من عائلة متواضعة في كريت، لكن بفضل جدارته استطاع أن يكون حاكماً لها، ثم انتقل إلى القسطنطينية عام ٣٣٠م، وانضم إلى مجلس الشيوخ، وحقق ثروة عظيمة فيها، وكان هناك حتى في القسطنطينية يطلق عليه "ta Ablabiou" ربما يقع في محيط كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس Sts.Sergios and Backhos واشتق اسم هذا الحي من بيت أبلابوس، ثم تقاعد أبلابوس في بيثينيا Bithynia التي كانت تضم ممتلكاته، وأُعيد عام ٣٣٧م، وقيل بداية عام ٣٣٨م بناءً على أوامر قسطنطينوس الثاني (٣٣٧-٣٦١م).^(١)

= غير معروف أية معلومات حول والدة القديسة أولمبياس. انظر: Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias*, p.14.

^(١) بالادبوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٨٤؛

Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias*, pp.13-14; Zosimus, *New History*, trans. R.T.Ridley, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sydney, 2006, pp. 41, 162. See also: Liew, S.N.C. and Montserrat, D., *from Constantine to Julian : Pagan and Byzantine Views, A Source History*, New York, 1996, p. 11; Turnator, E., *Monks and Monasteries in Constantinople: (Fourth to Ninth Centuries)*, Ph.D., 2003, p.19.

- صادفت الباحثة شخصية أخرى تدعى أولمبياس ابنة الحاكم أبلابوس، وكانت مخطوبة إلى قنسطانز Constans ابن قسطنطين العظيم قبل وفاته. انظر:

Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.14; Julian, *The Works of the Emperor Julian*, p.xxxvi.

- الوالي البرايتوري Praetorian perfect كان صاحبه ينتمي إلى فئة أعوان الإمبراطور، رغم أن المعنى الحرفي للقب هو قائد الحرس الإمبراطوري، لكنه لم يعبر عن صلاحياته الفعلية، وكان صاحب هذا المنصب يحتل المكانة التالية لمكانة الإمبراطور في عهد الإمبراطور دقلديانوس، لكن الإمبراطور قسطنطين حاول تقليص صلاحيات هذا المنصب من السلطة العسكرية حتى لا يحاول =



ولدت في أنطاكية أو القسطنطينية، وتوفى والدها وهي فتاة صغيرة، فتولى الوصاية عليها العم بروكوبيوس Procopius أحد ولاة القسطنطينية الذي تولى إدارة ممتلكاتها، وعهد بتعليمها إلى واحدة من أكثر السيدات ذكاء وثقافة في ذلك الوقت وهي ثيودوسيا Theodosia شقيقة القديس أمفيلوخوس الأيقوني Amphilochius أسقف مدينة قونية، وابنة عم القديس جريجوري النازيانزي Gregory Nazianzes وقد حث جريجوري الفتاة اليتيمة على محاكاة ثيودوسيا في أعمال الخير.^(١)

وتعد ثيودوسيا إحدى نساء ذلك العصر تميزاً في ثقافتها العالية وانغماسها في مطالعة الكتاب المقدس، وإحدى مراسلات القديس يوحنا، تميزت بالحكمة والشجاعة وتحدث عنها القديس جريجوري النازيانزي باحترام، ووجه إلى أولمبياس حديثه: "فلتكن لك مثلاً حياً في كل قول، وعمل" وليس من المستبعد أن يكون للقديس جريجوري دور في التربية الدينية لأولمبياس حينما كان أسقفاً على القسطنطينية (٣٧٩ - ٣٨١م)، فكان يخاطبها بعبارات مليئة بالعطف: "يا بنيتي، لا شيء يساوي نصائح الأب" ويبدو أن التعمق في دراسة الكتاب المقدس كان الوسيلة الكبرى للتكوين

=حاكم أي مقاطعة استغلالها في اغتصاب العرش. انظر: وسام فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٤١.

في قصر هورميسداس Sts. Sergius and Bacchus - بنيت كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس Bardill, J., "The Church of Sts. Sergius and Bacchus in Constantinople and the Monophysite Refugees", *Dumbarton Oaks Papers*, vol. 54, (2000), p.1.

(1) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.15; St. Chrsostom, *Select Homilies and letters*, p. 310 ; *Lives of the Saints with Reflections for Every Day in the Year*, trans. Butler, R.A., New york, 1887, p. 380. See also: *Oxford Classical Monographs*, p. 179;

يوحنا الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٧.



الثقافي والأخلاقي لنساء ذلك العصر، وقد استجابت أولمبياس استجابة تامة لهذا التوجيه.^(١)

تأثرت أولمبياس أيضًا بأفكار القديس جريجوري النيصي Gregory of Nyssa الذي ربما كان قد التقى بها المرة الأولى عام ٣٨١م، ثم أمضى بعض الوقت في القسطنطينية عام ٣٨٥م وأقام فيها بضعة أشهر، وفي هذه الزيارة توطدت علاقته بها، وأهدى إليها كتابه "شرح نشيد الإنشاد"؛ لأنها كانت خليقة بفهم قيمة ذلك الكتاب، بل

^(١) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.15;

الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٧ - ٢٨.

- ينسب الأسقف جريجوري النازيانزي إلى بلدة Nazianzum في جنوب غرب قبادوقيا Cappadocia واشتق كنيته منها، اشتهر بالتأليف، حيث كان أحد الكتاب الذين طبقوا الثقافة الكلاسيكية لدحض الوثنية والدفاع عن المسيحية، كتب كلمات مريرة عن جوليان بعد وفاته، وواجه الكثير من المشكلات خلال فترته القصيرة التي شغلها أسقفًا للقسطنطينية (٣٧٩ - ٣٨١م)، وكان يعلم رجال الدين والشمامسة الفضائل الأربعة، وهي: المعرفة، والشجاعة، والعفة، والبر، وكان يقول: المعرفة نظرية روحية، والقوة هي حكمة أكثر منها كلمات، والشجاعة هي ثبات الإنسان على الحق، والعدالة هي إعطاء كل كلمة ما تستحق. انظر:

Julian, *The Works of the Emperor Julian*, p. xi; Gregory of Nazianzum, *The Divine, a Contribution to the Ecclesiastical History of the fourth Century*, trans. C. Ullmann and G. V. Cox, London, 1855, p.13; *History of the Christian Church*, Vol.III, ed. Ph. Schaff, The Nicene and post. Nicene Christianity, A.D. 311-600, New York, 1982, pp. 40, 42; Paschale, *Chronicon Paschale*, 284 - 628 AD, trans. M. whitby and M. Whitby, Liverpool University press, 1989, p. 50;

مار ميخائيل السرياني الكبير، تاريخه، عربه: مار غريغوريوس صليبيا شمعون، دار الرها- ماردين، ص ٢١٩، ٢٢٢.



إنه في أواخر حياته وجه إليها رسالة هامة، وهذا يدل على شدة احترامه وتقديره لشخصها. (١)

وكانت الفتاة تتمتع بجمال عظيم، وورثت ثروة هائلة، وتهافت عليها الخاطبون، لكنها تزوجت أواخر عام ٣٨٤م من الوالي نبريدوس Nebridius ابن شقيق الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosios I (٣٧٩-٣٩٥م)، الذي كان حاكم القسطنطينية حينئذٍ، وأمين خزانة الإمبراطور وكان يكبرها سنًا؛ حيث كانت الزوجة الثانية له، لكن هذا الزواج لم يدم كثيرًا؛ حيث توفي بعد حوالي عشرين شهرًا من الزواج، وكانت إحدى السيدات اللواتي يحطن بالإمبراطورة إيودوكيا Eudoxia (٣٩٥ - ٤٠٤م) زوجة الإمبراطور أركاديوس Arcadius (٣٩٥ - ٤٠٨م). (٢)

(1) Gregory of Nyssa, *The letters*, trans. A. M. Silvas, Brill, Leiden , 2007, pp. 52, 55.

- كان القديس جريجوري النيصي (حوالي ٣٣٥م - ٣٩٤م) كاتبًا لاهوتيًا، وكان سليل عائلة من أبرز العائلات التي تميزت بالتقوى المسيحية، فأمه إميليا Emmelia من مواليد قبادوقيا، ووالده السنيور باسيل من مواليد نيو قيصرية Neo Caesarea عاصمة بونطس Pontus وكانا من عائلتين تنتميان إلى الطبقة الأرستقراطية مُلاك الأراضي الذين كانوا معروفين بتمسكهم الثابت بالمسيحية، وأخوه القديس باسيل القيصري، وأخته القديسة ماكرينا الصغرى Macrina the younger، وكان أسقفًا لنيسا Nyssa وبرع في الخطابة، وشارك في المجامع الدينية في عصره. انظر:

Gregory of Nyssa, *The letters*, pp. xii, 3 -4, 13, 52 .

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٨؛

History of the Christian Church, p. 183. See also: Kavanagh, J., *Women of Christianity, Piety and Charity*, London, 1852, p.24; McCarty, "The pure, Eye of her Sou," p.4.

- اختلف المؤرخون من جديد حول سنها عند الزواج؛ فمنهم من ذكر أن سنها كان ١٦ عامًا، ومنهم من قال: ١٧ عامًا، ومنهم من قال: ١٨ عامًا، وقال غيرهم: ٢٣ عامًا، وذكر أحدهم أن زوجها قد توفي عنها بعد عشرين يومًا فحسب من زواجهما. انظر: =



وكان القديس جريجوري النازياني أحد كبار المدعوين في حفل عرس أولمبياس الذي اتسم بالعظمة والفخامة، لكنه لم يحضر بسبب مرضه بداء المفاصل، فاعتذر لبروكوبيوس وأولمبياس قائلاً: "وقد تقول إننا نقيم الأفراس في عرس أولمبياس الذهبية، وأنت غير موجود معنا؟... ولكن أنا معكم أقيم الزواج، أضم يدي العروسين لبعضهما، وأضمهما أيضاً إلى يد الله"، ولأن جريجوري كان شاعرًا حينئذٍ، أرسل لها قطعة من الشعر مليئة بالنصائح الحكيمة تضمنت زي المرأة المسيحية، وتصرفها مع زوجها، وإدارتها لشؤون بيتها، وعلاقتها خارج البيت، وحاولت أولمبياس تطبيق هذه النصائح في حياتها، لكن الوقت لم يكن كافياً لها؛ حيث توفي زوجها عام ٣٨٦م، وهنا ختمت حياتها السعيدة، وبدأت مرحلة أخرى من الكفاح.^(١)

حياتها الدينية وتعرضها للاضطهاد:

رغبت أولمبياس عن حياة النعيم والترف بعد وفاة زوجها فالتجته إلى حياة الزهد والنقش، ولم تكن تخطت العشرين من عمرها، وبدأت فترة من الكفاح والمعاناة دفاعاً عن مبادئها؛ حيث رفضت أن تتزوج ثانية بعدما قرر الإمبراطور ثيودوسيوس أن

=St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p.310; *History of the Christian Church*, p.183; McCarty, "The pure , Eye of her Soul," p.4; *Lives of the Saints*, pp. 380 – 381; *Oxford Classical Monographs*, p. 179; Kavanagh, *Women and Christianity*, p.24.

- لكن إذا افترضنا أن التاريخ الحقيقي لميلادها كان عام ٣٦٨م وهو الأقرب بناء على سن زواجها الذي كان عام ٣٨٤م، فإن تاريخ زواجها الأقرب إلى الصواب هو ١٦ أو ١٧ عاماً، حسب الشهر الذي ولدت فيه والشهر الذي تزوجت فيه.

(١) Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias*, pp.16-17;

الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٨ - ٣٠.

- قيل عن أولمبياس إنها تزوجت مدة عشرين شهراً، ولم تسمح لزوجها أن يقترب منها، وظلت عذراء. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٢٠٠؛ Jean Chrysostome, *Lettres* à Olympias, p.411



يزوجها من أليبدوس Albedos أحد أقاربه، فطلب مرارًا وتكرارًا موافقتها، لكنها أبت بقولها: " لو كان ملكي يريدني أن أعيش مع زوج لما أخذ الأول، ولكنه يعلم أنني غير ملائمة للرباط الزوجي؛ لأنني غير قادرة على إرضاء الزوج، فحررتني في الحال من هذا القيد، وأنقذني من نير مرهق ومن العبودية لزوج، في حين وضع في ذهني نير الزهد اللطيف".^(١) فاغتاز الإمبراطور من رد أولمبياس، وأمر الحاكم بالتحفظ على ممتلكاتها؛ حتى تصل سن الثلاثين، وحرص أليبدوس الضباط على مضايقة أولمبياس أكثر وأكثر، وتنفيذ حكم الإمبراطور بصرامة، وعدم السماح لها بالتعامل مع الأساقفة أو الحضور للكنيسة، على أمل أن تتعب وتستنفد قواها وتقبل بالزواج، ولكنها على النقيض لم تتزعج وأرسلت شكرًا للإمبراطور على أنه عهد بإدارة هذا العبء الثقيل الذي يقلقها إلى إدارة سليمة، وطلبت منه أن يفعل ما هو أبعد من ذلك، وأن يقوم بتوزيع هذه الممتلكات على الفقراء، والكنائس؛ حتى لا تتشغل بالأمور المادية، وتخسر ثروة النفس الحقيقية، وعندما سمع الإمبراطور ذلك تراجع في حكمه القاسي، وأمر بإعادة ممتلكاتها إليها بعد سنوات أربع، وذلك عام ٣٩٠م وقيل عام ٣٩١م.^(٢)

وخلال الفترة التي صادر فيها ثيودوسيوس ممتلكاتها سحنت لها الظروف أن تقتدي بالقديسة ميلانيا Melania التي أطلق عليها " العالمة العالمة" بكل ما تحمله الكلمة من علم وحكمة، حيث كانت تحب كلام الله كثيرًا، وتمارس حياة التقشف، وكانت تهتم كثيرًا بقراءة الكتاب المقدس، ولم تكن تقرأه مرة واحدة بل مرات عديدة،

(١) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٢٠١.

(٢) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٢٠١ - ٢٠٢؛

St.Chrysoston, *Select Homilies and letters*, p. 310; *History of the Christian Church*, p.183. See also: Kavanagh, *Women of Christianity*, p. 25; *Oxford Classical Monographs*, p. 179.

- قيل إن قريب الإمبراطور ثيودوسيوس الذي كان يريد أن يزوجه القديسة أولمبياس كان اسمه هيلبيديوس Helpidius. انظر: *Oxford Classical Monographs*, p.179.



فضلاً عن الكتب الأخرى التي كانت تعيد قراءة كل كتاب سبع أو ثماني مرات، بدقة وعناية.^(١)

وهكذا رفضت القديسة أن ترتبط بأحد أقارب الإمبراطور صاحب الجاه، والمال، والنفوذ، وقررت التفرغ لعبادة الله، ودخلت حياة الرهبنة، على الرغم من انتمائها إلى عائلة وثنية، واهتمت بخدمة الناس، وخاصة الفقراء، فأخذت تتبرع بمالها، وتتصدق على الفقراء ببذخ شديد، ومن شدة كرمها وكثرة أعمال الخير التي كانت تقوم بها والتي قدمتها لكنيسة القسطنطينية - قام القديس نكتاريوس Nectarius أسقف القسطنطينية بترسيمها شماساً، ولم يكن عمرها يتجاوز الثلاثين عاماً، نظراً لفضلها وتقواها الشديدة، فضلاً عن علمها، وهذه الصفات اعتبرها نكتاريوس كافية لتكون شماساً.^(٢)

رغم أنه لم يكن من المعتاد ترسيم الشماسات بسهولة، وكان سن الأربعين هو الحد الأدنى لسيامتهنّ، وقيل سن الستين، وكان الإمبراطور ثيودوسيوس الأول قد أصدر قانوناً ينص على عدم قبول النساء في الخدمة الكنسية إذا لم يكن لديهن أطفالاً، وأن تكون أعمارهن فوق الستين عاماً، وكان هذا القانون سبباً في طرد النساء اللاتي حلقن رؤوسهن من الكنائس، كما عوقب بالخلع جميع الأساقفة الذين قبلوهن في أسقفياتهم،^(٣) إلا أن هذا المرسوم قد ألغي بعد شهر واحد فقط من صدوره.^(٤)

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٨، ٣٠.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٣١؛ سوزومين، التاريخ الكنسي، ترجمة تشستر هارترانفت، تعريب بولا ساويرس، سلسلة "المؤرخون الكنسيون الأوائل"، مشروع الكنوز القبطية، ٢٠١٧م، ص ٧٨٠؛ بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ١٢٣، هامش (٢٩٨).
St. Chrysoston, *Select Homilies and letters*, p.310; *Lives of the Saints*, p.381. See also: *Oxford Classical Monographs*, p. 179.

(٣) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٣١؛ سوزومين، التاريخ الكنسي، ص ٧٠٤؛ بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ١٢٣، هامش ٢٩٨.

(٤) *Oxford Classical Monographs*, p.180.



وعاشت القديسة في زهد شديد، وكرست كل وقتها ومتاعها للفقراء والمحتاجين وخدمة الدين، ودعمت أعمال الكنيسة في اليونان، وآسيا الصغرى، وسوريا بتبرعاتها السخية التي لم تقتصر على أموالها بل تعدت ذلك إلى التصدق بأراضيها؛ حيث كانت ممتلكاتها تضم عقارات في تراقيا Thrace، وغلاطية Galatia، وقبادوقيا Cappadocia، وبيثينيا Bithynia بالإضافة إلى قصرين في المدينة الإمبراطورية، وكانت القديسة أولمبياس كريمة للغاية مع الأسقف نكتاريوس، وقدمت له وللكنيسة ولأعضائها جميع احتياجاتهم - ويقال إن نكتاريوس كان يأخذ برأيها في الشؤون الكنسية - فضلاً عما قدمته للقديس أمفيلوخوس أسقف قونية، وجريجوري النازي، وبطرس شقيق القديس جريجوري النيصي، وإبيفانيوس أسقف مدينة قونستانتيا Constantia بقبرص، أولئك القديسون الذين قدمت لهم فعلاً هبات من مال وأراضٍ، وزودت كل راهب زار المدينة بسخاء، واستضافت كثيراً من النساك والعداري.^(١) وقيل إنها منحت كنيسة القسطنطينية عشرة آلاف قطعة ذهبية، وعشرين ألف قطعة فضية، فضلاً عن الممتلكات التي أوقفتها لها، ومنها: حمامات، ومطحنة، ومستودع للحبوب.^(٢)

وبعد وفاة نكتاريوس أواخر عام ٣٩٧م خلفه القديس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom رئيساً لأساقفة القسطنطينية عام ٣٩٨م ولما رأى ذهبي الفم أن

^(١) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٢٠٠، ٢٠٣؛

St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p.311; *History of the Christian Church*, p.183. See

also: Boyer - Hunyor, R.A., *St. John Chrysostom and St. Olympias, Deaconess: a Model for the Collaboration of Men and Women in Church Ministry*, Ph.M., University of Dayto, 2009, p. 70; McCarty, "The Pure, Eye of her Soul," p.5.

^(٢) Clark, E.A., Jerome, *Chrysostom and Friends*, New York, 1938, p.54.



أولمبياس كانت تهب ما تملك لكل من يسألها، وأنها تحتقر كل شيء عدا خدمة الرب حذرًا من سخائها العشوائي، مذكّرًا إياها أن ثروتها أمانة أعطاها الله لها، ويجب عليها أن تكون حذرة ومتحفظة في إدارتها، وألا تهب ثروتها للأثرياء، بل تكرسها لخدمة الفقراء والمحتاجين، وكانت هذه النصيحة سببًا في خلق حزب معادٍ له من قبل العديد من الأساقفة، ورجال الدين الجشعين، الذين كانوا يستفيدون من سخائها وعطاياها، أو الذين كانوا يأملون ذلك، ومع أن القديس يوحنا كان واعظ الصدقة العظيم فإن نصيحته لها كانت نتاجًا لما رآه من إفراط في سخائها وكرمها الشديد مع الغني والفقير.^(١)

وقد توطدت العلاقة بين القديس يوحنا والقديسة أولمبياس؛ نظرًا لتوافق أهدافهما في نبذ الحياة الدنيا والعمل على إرضاء الرب، فوجد فيها القديس يوحنا رفيقة الروح، وقدم لها الكثير من النصائح، وكانت الشماسات في تلك الفترة يقدمن خدمات دينية مثل حراسة الأبواب، والاهتمام بالنساء المعمدات، ومساعدة الأسقف خلال طقوس التعميد، ويُعلّمن من يعظن من النساء، ويعتنين بالسيدات في الكنيسة، كما أن عليهن الاهتمام بآثار الشهداء، ويفعلن ذلك كله باسم الإيمان الحقيقي والسلام في الكنيسة، فضلًا عن دورهن في إقامة الصلوات بالكنيسة ليل نهار، وتلاوة الترانيم المقدسة، ويقدمن أيضًا خدمات خيرية منها خدمة النساء المريضات في منازلهن وفي المستشفيات، ويساعدن الأرملة المحتاجات، أما أولمبياس (تلك الشماسة الثرية) فقد زادت عليهن بأن قدمت المال وساعدت الفقراء، وأنفقت على الكنائس، والأديرة، والمستشفيات، والمتسولين، والسجناء، والمنفيين، وأطلقت سراح عدة آلاف من العبيد، من بينهم العبيد الذين كانوا يعملون في ممتلكاتها، وكانت توزع صدقاتها في المدن،

^(١) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٢٠؛ سوزومين، التاريخ الكنسي، ص ٧٨٠ - ٧٨١؛ St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p. 311. See also: Turnator, *Monks and Monasteries*, p.31.



والقرى، والجزر، والصحاري حتى وصلت هذه الصدقات إلى أطراف البلاد، والأماكن النائية، وكانت تزور المرضى، والفقراء، والمسنين، والمكروبين خاصة في القسطنطينية.^(١)

وكانت إيرادات الكنيسة وصدقاتها توضع عند الأسقف لتوزع بتوجيه منه على الفقراء والمحتاجين، ويستخدم الأسقف الشماسة لتوزيعها، وعندما نمت ثروات الكنيسة تدريجياً تم تعيين أمناء أو صرافين من رجال الدين؛ حتى لا تتبدد ممتلكات الكنيسة؛ لذلك ليس بمستغرب أن نجد كثيراً من الأساقفة يتوددون ويتقربون من القديسة أولمبياس، التي طالما تصدقت وقدمت للكنيسة ورجالها كل ما يحتاجون إليه^(٢)، وهذا هو البطريرك ثيوفيلوس Theophilus بطريرك الإسكندرية كان يتودد إلى أولمبياس، ومن شدة لهفته على المال كان يقبل ركبتيها من أجل الحصول عليه.^(٣)

^(١) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٢٣، ٢٠٠؛

History of the Christian Church, p. 183. See also: Kavanagh, Women of Christianity, p. 25; Walsh, E. M., Wisdom as it is Manifested in the Theotokos and the Women Saints of the Byzantine Era, Ph. M., the American University, 1980, p. 13; Cusak, M. F., The Deaconess Movement The North American Review, Vol. 155, No. 429 (Aug., 1892), p.247; Pylvanainen, P., Agents in Liturgy Charity and Communication, The Tasks of Female Deacons in The Apostolic Constitutions, Brepols, Belgium, 2020, p.4.

^(٢) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٥٥ - ٥٦، هامش ٩٠، ص ١٨٦.

- هناك إشارة إلى أن ذهبي الفم كان يرفض حضور توزيع أولمبياس لصدقاتها. انظر:

Lives of the Saints, p. 381.

- كان ثيوفيلوس كاهناً في كنيسة الإسكندرية، ثم أصبح أسقفاً لها حوالي عام ٣٨٥م، وتوفي عام ٤١٢م، وخلفه ابن أخته كيرلس الملقب بعمود الدين. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٣٥، هامش (٣٧).

^(٣) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.24;

بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٨٦.



وكانت القديسة أولمبياس استثناءً ملحوظاً في كونها شماسة بالكنيسة؛ لأن نظام الشماسات قد نبع أساساً من نظام الأرامل المتقدّمات في السن، وبعدما تقلد القديس يوحنا أسقفية القسطنطينية استدعى العضوات الأرامل، وأجرى فحصاً لحالات سوء السلوك، فوجد بعضهن مولعات بالرغبة الجسدية، فنصحهن بممارسة الصوم، والإحجام عن ارتياد الحمامات، وعدم المغالاة في ارتداء الملابس، وإما الزواج ثانية؛ كي لا تُساء سمعة شريعة الرب. لكن القديسة أولمبياس كانت صارمة وحازمة في ضبط نفسها؛ فأحجمت عن الأطعمة الحيوانية، وكانت نادراً ما تذهب إلى الحمامات العامة إذا ما استدعت صحتها ذلك؛ لأنها كانت تعاني من مرض مزمن في المعدة، وكانت تسكب الماء على ملابسها عند الاستحمام؛ حياءً منها أن تُرى مفاتن جسدها.^(١)

وقدم لنا القديس يوحنا وصفاً دقيقاً للقديسة أولمبياس في إحدى رسائله لها، حينما كتب بعض العبارات: كيف أصف زهدك في الطعام وفي النوم، فالكلمات تقف عاجزة عن وصف فضائلك؛ لأنك تفوقت على نفسك في قمع الجسد الذي هو أساس كل الشهوات، فالشهوة إلى الأطعمة الفاخرة لا تزعجك أبداً؛ لأنك ألزمت المعدة أن تأكل وتشرب ما تحتاج إليه فحسب؛ لتظل صاحبته على قيد الحياة، ولتستطيعي القيام بأعمال التوبة، فضلاً عن عدم انصياعك وراء شهوة النوم بدوام السهر، رغم نعومة نشأتك ورفاهيتك في سابق السنوات والأيام، وتوافر جميع المتع والملذات، كل هذا مع صبرك، وتواضعك، وما يفيض عنك من حسنات بكل شكل من الأشكال بلغ مداها

^(١) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٧٦ - ٧٧، ٢٠٢.

- كانت الحمامات العامة في المدن الكبيرة عبارة عن مبان شاهقة، يهدر فيها الكثير من الوقت في متع جسدية تكون مجالاً للفجور؛ لذا كان على من زهد ونبذ الحياة الدنيا أن ينأى بنفسه عن هذه الأماكن التي هي مثار للشكوك، وكانت أولمبياس تبتعد دائماً عن أماكن الرذيلة. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٧٧، هامش ١٦٥، ٢٠٢.



أرجاء المعمورة، وما يصدر عنك من حكم عميقة، ولطف جم سما على الطبيعة البشرية، ويغلف ذلك كله مشاركة الفقراء والتشبه بهم ببساطة النعل، والملبس ومن ينظر إلى هذه الفضيلة الأخيرة بعين فاحصة وناقدة يراها من أسمى الفضائل، وأن نفساً نبذت الحياة الدنيا لهي جديرة بكل تقدير، فأنت الأرملة البسيطة التي يجب أن تمدحها آلاف الألسنة، وما فيض إحسانك وعظيم محبتك التي انتشرت في البلاد وبينك الوحيد المفتوح للغرباء وعابري السبيل برأً وبحراً - عن الجميع ببعيد.^(١)

كان للقديسة دار واسعة في القسطنطينية تقع بين كنيسة آيا صوفيا وكنيسة سان إيريني (السلام)، فحولتها إلى مؤسسة ديرية قامت فيها بإيواء النساء والفتيات اللاتي اجتمعن حولها، واستضافت فيها الكهنة والأساقفة الذين يمرون بالمدينة، وأقامت مشفى لاستقبال المرضى، وشاركت القديس يوحنا هدفه في تخفيف شقاء المجتمع؛ حيث كان يستخدم كل موارد الكنيسة ليبنى بها المستشفيات، وساعدته أولمبياس على ذلك، ووصل عدد السيدات والفتيات في مؤسسة أولمبياس إلى نحو مائتين وخمسين، بينهن بعض أقاربها، ومن كن معها في بيتها خلال زواجها، ومنهن سيدات من العائلات الأرستقراطية، اللاتي ملأت التقوى والتواضع قلوبهن، وزهدن في الحياة الدنيا، وحرصن على التسبيح الدائم للخالق، وهؤلاء كن متعاونات مع القديس يوحنا في كل أعمال البر والإحسان لخدمة الكنيسة، أما أولمبياس فكانت متعلقة بكلامه مستجيبة لتأثيره.^(٢) واهتمت أولمبياس اهتماماً خاصاً بالقديس يوحنا الذي كان يعاني

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢١٧ - ٢١٩، ٢٢٤ - ٢٢٦؛ فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، ص ١٣٨؛

The Seven Ecumenical Councils, Nicene and post-Nicene fathers Series, Vol.14, ed. Ph. Schaff, Christian Classics Ethereal Library, 1876, pp.541-542. See also: Halsall, P., Women's Bodies, Men's Souls: Sanctity and Gender in Byzantium, Ph.D., New York, 1999, p.200.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٣١ - ٣٢؛



من مرض في معدته، ووفرت له الاهتمام بخبزه اليومي وطعامه الصحي، وثيابه، وساعدها على ذلك أنه لم يكن يفصل بين مؤسستها وبينه سوى جدار.^(١)

وبدأت المعاناة الحقيقية في حياة أولمبياس بعدما صدر الأمر رسمياً بنفي القديس يوحنا في الخامس من يونيو عام ٤٠٤م حيث ثارت فوضى عظيمة في القسطنطينية، واشتعلت النيران فجأة في الكنيسة، فاحترقت من كل جانب، وامتدت النيران إلى مجلس الشيوخ المتاخم للكنيسة من جهة الجنوب بفعل الرياح، وقيل إن النيران وصلت بيت الوالي فدمرته، واتهم الفريقان - أنصار القديس يوحنا وأعدائه - كل منهما الآخر بإحراق الكنيسة عمدًا، وبينما كانت النيران تنتشر كان الضباط يقبضون على القديس يوحنا، وينقلونه إلى مدينة كوكوسس CUCUSUS بأرمينيا، وكُلف ضباط آخرون بإلقاء القبض على سائر الأساقفة، ورجال الدين المتعاطفين مع يوحنا وسجنهم في خلفدونية، وتعرض العديد من أعضاء مجلس الشيوخ ذوي المقام الرفيع للضرب ومصادرة ممتلكاتهم؛ بسبب تعاطفهم مع القديس يوحنا ورفض المشاركة في الكنيسة، وذهب الجنود إلى أبعد من الأوامر المعطاة لهم، وتعرضوا لزوجاتهم وبقية النساء وجردوهن بالقوة من الحلي، وسلبوا منهن قلاندهن وأساورهن وقروطهن الذهبية، كأنهن غنائم

=Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias*, pp.20-23. See also: *Oxford Classical Monographs*, p.180

⁽¹⁾Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias*, p.21; St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p. 311.

- كان القديس يوحنا يتناول طعامه منفردًا، ولا يقبل أي دعوة لوليمة، وكثرت الأقاويل عن تكبره بسبب ذلك خاصة من أعدائه، وقيل أيضًا بسبب صرامة تقشفه، والراجح أنه كان بسبب مرض في معدته. انظر: سقراتيس، *التاريخ الكنسي*، ص ٦١٢.



حرب، وجروهن بلا حياة حفاة دون حجاب، وذلك بأمر من إيودوكيا زوجة الإمبراطور أركاديوس.^(١)

واستشاط الأساقفة - أعداء القديس يوحنا - غضباً من والي القسطنطينية؛ حيث علموا عنه أنه يتهاون في تعذيب أنصار القديس يوحنا ولا يعذبهم بعنف شديد، فتقدموا

(1) St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p.17; Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, translated by, Jeffreys, E., Jeffreys, M., and Scott, R., Australian Association for Byzantine Studies, Melbourne, 1986, p. 189 ;

سوزومين، التاريخ الكنسي، ص ٨٢١ - ٨٢٤؛ سقراتيس، التاريخ الكنسي، ص ٦٦٠؛ فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، تعريب الأسقف جبران الرملاوي، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م، ص ١٣٣.

Malalas, *The Chronicle*, p. 189; *Lives of the Saint*, Vol. I, ed.R.S. Baring - Gould, London, 1872, pp. 164-165.

- الكنيسة هي كنيسة "آيا صوفيا" التي بناها قسطنطين، وقد تم ترميمها بعد هذا الحريق، ثم تعرضت لحريق آخر وأعيد بناؤها في عهد الإمبراطور جستنيان بنقعات باهظة. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٢٥، هامش (٣٠٦).

-بعدما صدر قرار نفي القديس، ذهب إلى كنيسة القسطنطينية ليودع أصحابه، فدعا القديسة أولمبياس وغيرها من الشماسات المقربات إلى قلبه بعبارة: "تعالين يا بناتي" وأخذ يودعهن فانفجرت السيدات بالبكاء، وألقين بأنفسهن عند قدميه تحتضنه. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٢٣-١٢٤؛ Malalas, *The Chronicle*, p.189

- كانت النساء حينئذ يرتدين حجاباً يطلق عليه "مافوريا" Maphoria، ولكن فيما بعد اقتصر ارتداؤه على العذارى والشماسات بشكل مميز. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٢٠، هامش (٢٩٢).

-كان نفي القديس يوحنا نتيجة مؤامرة قام بها ثيوفيلوس بطريرك الإسكندرية، وسفريانوس Severianos أسقف جبلة Gabala -غرب الشام- والإمبراطورة إيودوكيا للتخلص منه. Malalas, *The Chronicle*, p.189



- ومعهم الإمبراطورة إيودوكيا - بشكوى إلى الإمبراطور ضد الوالي، فقام الإمبراطور بعزله وعين أوبتاتوس Optatus بدلاً منه؛ كي يعذبهم ويقوم بتمزيق أجسادهم.^(١) وقد تجلى الجلد العظيم في القديسة أولمبياس التي جُرت أمام المحكمة بمهانة، ولاقت من الجنود ما لاقته بقية النسوة أثناء القبض عليهن، وكان عمرها حينئذ خمساً وثلاثين عاماً، وقام الوالي أوبتاتوس حاكم القسطنطينية باستجوابها عن دوافعها لإضرام النار في الكنيسة، وحاول عبثاً إرهابها بأدوات التعذيب؛ ليجبرها على الاعتراف، إلا أن ثباتها كان عظيماً، وأجابت بأن حياتها الماضية كافية باستبعاد الشبهات فيها؛ حيث إنها كرست الكثير من ممتلكاتها لترميم هياكل الله، وحينما وجد الوالي أنه ليس لديه أدلة ضدها في القضية الأساسية أمرها وغيرها من النساء اللاتي قبض عليهن بالاشتراك مع الأسقف أرساكيوس Arsacius - الذي قُدم أسقفاً للقسطنطينية بعد نفي القديس يوحنا - والتوبة، وإما دفع غرامة ثقيلة لصالح الخزانة الإمبراطورية، فامتثلن جميعاً لأمر الوالي خوفاً، إلا القديسة أولمبياس رفضت الامتثال له والاشتراك مع الأسقف الجديد، فتركها تغادر، وفي مناسبة أخرى استدعاها وضغط عليها كي توافق على الاشتراك مع أرساكيوس فلم توافق، رغم أنها كانت تدرك جيداً أن جريمة إحراق الكنيسة أخف من جريمة عدم الاعتراف بالأسقف الجديد، ومع ذلك فإنها لم تستطع إنكار شرعية القديس يوحنا، فحكم عليها القاضي بغرامة ثقيلة؛ ظناً منه أنها ستضطر إلى تغيير رأيها بهذه الطريقة، لكنها لم تتراجع وخسرت ممتلكاتها التي كانت أهون عليها من خسارة مبادئها، وغادرت القسطنطينية إلى مدينة كيزيكوس Cyzicus.^(٢)

(١) فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، ص ١٣٥.

(٢) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ٥٦؛ سوزومين، التاريخ الكنسي، ص ٨٢٧ - ٨٢٨؛

فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، ص ١٣٨-١٣٩ =



ولم يتوقف اضطهاد أنصار القديس يوحنا بعد نفيه، وعوقب ما يقرب من عشرين أسقفًا، فضلًا عن الكهنة والعديد من الشماسة الذين عُذبوا ونُكِّل بهم بعد إدانتهم باتهامات لا حصر لها، ثم نُفوا إلى المدن والواحات النائية ومنهم من سُجن، فضلًا عما حل بالقديسة أولمبياس وبعض الشماسات معها، وهؤلاء جميعًا اختاروا معارضة الإمبراطور أركاديوس الذي كان يعترف بشرعية الأسقف أرساكيوس، ورفضوا إنكار شرعية الأسقف يوحنا، رغم أن دين الإمبراطور كان حينئذ مفروضًا على جميع الرعايا، ومن يخالفه يقع تحت طائلة القانون، وقد اتحدت السلطة الإمبراطورية مع السلطة الكنسية المتمثلة في أسقف القسطنطينية، وثيوفيلوس أسقف الإسكندرية، وبورفيروس أسقف أنطاكية في القضاء على أتباع القديس يوحنا، وصدر قانون جديد

=*Socrates and Sozomenus Ecclesiastical Histories, Nicene and post-Nicene fathers Series, Vol.II, ed. Ph. Schaff, Christian Classics Ethereal Library, 1886, pp.930-931.*

- لم يكن الدين شرطًا للتعين في الوظائف القيادية في الدولة، فها هو والي مدينة القسطنطينية أوبتاتوس Optatus كان وثنيًا، وكان يتولى الحكم على المسيحيين وإدانتهم، وعاقب العديد منهم دونما رحمة، وقضى بالإعدام على الكثيرين، ويبدو أنه كان مبهتجًا بمصائب الكنيسة لكونه وثنيًا، وكارهاً للقديس يوحنا. انظر: سوزومين، *التاريخ الكنسي*، ص ٢٨٥؛ سقراتيس، *التاريخ الكنسي*، ص ٦٦٠ - ٦٦١؛ *Lives of the Saint, Vol. I, pp. 164-165*

- رسم أرساكيوس شقيق الأسقف نكتاريوس أسقفًا على القسطنطينية بعد نفي القديس يوحنا، وكان مديبرًا وديعًا جدًا، وعلى قدر كبير من التقوى، لكن سمعته تغيرت بسبب الكهنة الذين كانوا يفعلون ما شاءوا باسمه، فنسبت الأعمال الشريرة إليه، ويبدو أن أولمبياس كانت ضمن الذين رفضوا التناول أو الانضمام إلى الصلاة معه، فاشتكى الأسقف من سلوكهم للإمبراطور، فأمر بالقبض عليهم، وطُرح بعضهم في السجن، وتوفى أرساكيوس في ١١ نوفمبر ٤٠٥ م وتولى الأسقفية بعده الأسقف الأرمني أنيكوس Atticus في مارس ٤٠٦ م. انظر: سوزومين، *التاريخ الكنسي*، ص ٨٢٣؛ انظر أيضا:

Barnes, T.D., "Emperors and Bishops of Constantinople (324-431)," in: *Christianity, Democracy, and the Shadow of Constantine*, New York, 2017, p.184.



يفرض على الحكام في المقاطعات أن يقوموا بمنع التجمعات الدينية لأتباع القديس يوحنا، وعليه تم اضطهاد جميع أتباعه وملاحقتهم ومصادرة ممتلكاتهم.^(١)

حياتها في المنفى:

من العجيب ما وجدناه من صمت معظم المصادر عن مصير القديسة أولمبياس بعد محاكمتها وخروجها من القسطنطينية، إلا أن رسائل القديس يوحنا لها وهو في منفاه أماطت اللثام عن بعض تفاصيل حياتها في المنفى، رغم أنه لم تُحفظ لنا رسالة واحدة من رسائلها هي للقديس يوحنا؛ ربما لأن يوحنا كان وضعه سيئاً في منفاه بين المرض وبرودة الجو ومعاناة أعدائه له، ولم يستطع الاحتفاظ بالرسائل التي كانت تصله، أو ربما قام يوحنا نفسه بالتخلص من رسائلها خوفاً من أن تقع في يد أحدهم؛ لأن القديسة أولمبياس ربما لم تكن متحفظة في رسائلها مثلما كان يفعل القديس يوحنا، أو ربما قام أعداؤها بالتخلص من أي متعلقات تخص القديس يوحنا وأتباعه بعد وفاته.

أياً كان الأمر فمن خلال تتبعنا لرسائل الكاتب البليغ القديس يوحنا السبع عشرة إليها - والتي وجد فيها البعض مسحة أدبية واضحة - نجد أنها كانت مختلفة عن غيرها من الرسائل التي كان يرسلها إلى أصدقائه وأتباعه من رجال الدين وغيرهم، والتي كان معظمها يخص العقيدة المسيحية وفيها يأمر، وينهى، ويعاتب، ويوبخ على بعض الأفعال، ويشجع على الثبات على الإيمان المسيحي، إلا أنه في رسائله للقديسة كان يظهر في صورة الطبيب الذي يصف العلاج الشافي لكل من يستسلمون لليأس، ويحاول معالجة حزنها ويأسها من منفاه البعيد؛ باعتباره أباً روحياً لها، ورغم قلة الرسائل التي أرسلها القديس يوحنا إليها إلا أنها تنوعت في أغراضها ما بين سرد

(١) بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ١٨٥، ١٩٥ - ٢٠٠، ٢٢٩ - ٢٣٥؛ فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، ص ١٤٥، ١٤٣، ١٣٩؛

Photius, *The Bibliotheca*, trans. Willson. N. G., London, 1994, p.120.



لأخباره ومعاناته في المنفى، واهتمامه الشديد بها وبصحتها، ومدحه لفضائلها، وسرد لأخبارها وما تعرضت له من ظلم على يد الإمبراطور ورجاله ورجال الدين، وتؤكد هذه الرسائل مدى العلاقة الروحية التي كانت تجمعهما.^(١) وقد فسر معظم المؤرخين ورجال الدين هذه العلاقة على أنها (صداقة قوية)^(٢) ولن تسترسل الباحثة في سرد ما ورد بالرسائل التي تعرضت بلا شك لبعض التنقيح والتحريف خلال نقلها من المخطوطات والتي وصلت إلينا في طبعات عدة، اختلفت بعض الشيء عن بعضها.^(٣) وما يعنينا منها هي استخلاص أخبار القديسة وظروف حياتها بعد المنفى، ويبدو أن حزنها وألمها كانا شديدين على فراق توأم روحها؛ لدرجة أنها لم تستطع أن ترسل له رسالة مع الرسائل التي كان يرسلها له أتباعه وأصحابه، لذا يحاول القديس يوحنا في جميع رسائله إليها أن يطرد عنها الحزن الذي خيم عليها، ويخبرها أنه في صحة جيدة؛ لأنه يعلم كم هي حزينة على فراقه، بل وكان يستجديها في بداية فترة نفيه أن تكتب إليه لتطمئنه عنها وعن صحتها، ويتعجب من أنها لم ترسل له رسالة

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٣٢؛

Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, pp.11-12. See also: Barry, J., *Bishops in Flight, Exile and Displacement in Late Antiquity*, University of California Press, 2019, pp.95-96,99,101;

تأدرس يعقوب ملطي، القديس يوحنا الذهبي الفم، مجمع السنديان ونفيه (٤٠٣-٤٠٧)، منشورات الكنوز القبطية، الإسكندرية، ج-٣، ص ٤-٥.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٣٢؛ فيرجيل جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، ص ١٣٨؛

Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.13. See also: Clark, *Jerome, Chrysostom*, 38, pp.19,46,68

(٣) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.394.



واحدة، ويؤكد لها أنه سيظل يرسل لها الرسائل أكثر وأكثر؛ لتكون لها العلاج الشافي، وتحمل لها التعزية ما دامت تستجيب له.^(١)

ورغم وجود الكثير من المارة على القديس يوحنا القادمين من القسطنطينية الذين يستطيعون أن يسلموا له الرسائل، فإنها ظلت صامته عدة أشهر حزناً على فراقه، فضلاً عن فقدان ممتلكاتها ونفيها هي الأخرى، ويتعجب من أنها مع ذلك لم تظمنه برسالة، فأخذ يستجديها ثانية أن ترسل له رسالة تظمنه على صحتها كي يسعد بذلك؛ لأن عذابه الأكبر يكمن في جهله بخبرها.^(٢)

وسبب اهتمامه الشديد بها دون غيرها من القديسات والشماسات نستشفه من خلال قوله عنها: "لم يكن سهلاً أن يخرج من هو مثلها تمارس منذ شبابها المبكر حياة التجرد والإماتة مع ما تملكه من غنى وجاه وارتباط عائلتها بالبلاط".^(٣) فقد كان يُجِلُّ فيها ميولها إلى حياة الزهد والتقشف في سن مبكرة مع ما كانت تملكه من مقومات للغنى والجاه، وارتباط عائلتها بالبلاط، ما يجعل من الصعب على أي أحد غيرها أن يتجه إلى ما اتجهت إليه. فضلاً عن عدة أسباب لمسناها خلال الدراسة والتي تتفق الباحثة فيها مع الباحث ديفيد فورد في أطروحته ومنها: أنها سخرت كل أموالها وممتلكاتها لخدمة الدين والكنيسة، والإنفاق على الفقراء والمحتاجين، وأنها كانت تمده بكل ما يحتاجه من أموال وغيرها لرفع المعاناة عن كل من يلجأ إليه، بالإضافة إلى رعايتها الشديدة له، وتقديم يد العون بالوقوف على طعامه وشرابه ودوائه، فضلاً عن أنها كانت موضع ثقة لديه في الأمور الكنسية بدليل اعتماده عليها في التواصل مع

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٩٥؛ Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, pp.107-109

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٩٦ - ١٩٨؛ Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, pp.111-119

(٣) تادرس ملطي، القديس يوحنا، ج ٢، ص ٣.



الشماسة ورجال الدين الموالين له وهو في منفاه.^(١) وكذلك وقوفها معه أثناء محنته ونفيه؛ ورفضها الاعتراف بشرعية أحد غيره، حتى إن كان الثمن نفيها ومصادرة ممتلكاتها. كل هذه الأمور جعلته يهتم لأمرها اهتمامًا شديدًا؛ عرفانًا لها بجميلها عليه وعلى كل من قدمت لهم يد العون والمساعدة من أبناء الشعب البيزنطي والكنيسة. وحينما كتب لها رسالته الخامسة في أغسطس عام ٤٠٤م كانت قد بدأت تكتب له، بل وحاولت من خلال علاقاتها أن تنتقل إقامته إلى مكان قريب، لكن جهودها لم تفلح أمام تعنت أعدائهما، فطلب منها ألا تحمل نفسها فوق طاقتها في محاولة تغيير إقامته، وأنه يقبل بوجوده في كوكوسس، ويطلب منها أن تهتم بصحتها وألا تقلق بشأنه.

لكن محاولاتها لنقله إلى مكان مريح وقريب منها لم تنته، فطلب منها من جديد ألا تكلف نفسها فوق طاقتها لتغيير محل إقامته، وأن تحاول معرفة المكان الذي سينقلونه إليه من خلال علاقاتها، فإذا كان المكان على شاطئ البحر وغير بعيد من نيقوميديا فعليها أن تقبل به، وإن كان المكان أبعد، فعليها حينئذ ألا تقبل؛ لأنه سيكون قاسيًا ومتعبًا.^(٢) ويبدو جليًا مدى ارتباط روجيها باعتبارها مثلها الأعلى وأبًا روحياً لها؛ فعلى الرغم من حزنها وألمها الشديدين فإنها لم يكن لها هم سوى أن تنتقله بالقرب منها، وهو لم يكن همه في رسائله سوى الاطمئنان على صحتها وتبديد حزنها، وأن يكون في بلد قريب منها كي يستطيع رؤيتها ثانية.

وبداية من الرسالة السابعة تبدأ الرسائل الموجهة لها تكبر وتزداد صفحاتها كثيرًا، لدرجة أننا نستشعر ارتياحًا شديدًا لدى القديس يوحنا وهو يكتب للقديسة أولمبياس؛

(1) Ford, D. C., *Misogynist or advocate? St. John Chrysostom and his views on Women*, Ph.D., New Jersey, 1989, p.118.

(2) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٩٨ - ٢٠١؛ Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, pp.121-125



محاولةً منه إخراجها من أحزانها، فكتب لها الرسائل المطولة وأخذ يعدد لها الأمثلة، ويقدم لها العظات من السلف الصالح سواء من الأنبياء أو القديسين؛ كي تصبر وتحسب أجرها عند الله وتخرج من حزنها، ووتتشابه الرسائل الباقية كلها في أنه يحاول تعزيتها وإخراجها من حزنها؛ لعلمه أن بعده عنها كان سبباً رئيساً في حزنها.^(١) ثم أخذ يصف زهداها، وتقواها، وصبرها، وتواضعها، وفضائلها التي لا تعد، ويبدو أن حزنها الوحيد كان بسبب بعده عنها؛ لأنها كانت تقول للناس: "لم نعد نسمع له صوتاً، ولم نعد نستمتع بدرر أقواله التي اعتدنا أن نتغذى بها " ويرد عليها أنه من الممكن أن تستعيض عن غيابه بقراءة كتبه، وأن تبرهن على حبها لعظاته بسماع أقواله، وأن لكلامه تأثيراً عليها كما لو كان لا يزال يتحدث معها، ويؤكد لها أنه يجتهد في كل مناسبة تسنح له أن يبعث إليها بالرسائل المطولة؛ تسلياً لروحها، وليدخل الفرح على قلبها؛ لأن فرحها هو تعزيتها الكبرى.^(٢)

ونلاحظ في الرسالة العاشرة أن محاولات القديسة أولمبياس لنقله بالقرب منها في مكان مريح ما زالت مستمرة، وأنها حزينة بسبب فشلها في ذلك أمام قوة الأعداء وقدرتهم، والأهم أنها أرسلت له خادماً من عندها، ومع أنه لم يحدد في الرسالة وظيفة الخادم، فإنه من الطبيعي أن ترسله بالمال، والطعام، والأدوية وغيرها مما يلزم القديس من أمور كانت القديسة أولمبياس حريصة على توفيرها له أثناء وجوده معها في القسطنطينية، فضلاً عن أنه طلب منها في هذه الرسالة أن تكون رسولاً لبعض الأساقفة، والشمامسة في قضايا تخص المسيحية والتبشير بها، وأمرها أن تكون حريصة كل الحرص، ولا بد أنه أرسل هذه الرسالة مع شخص ثقة للغاية؛ لأنها حوت بعض الأسرار عن الجنود الذين يرافقونه في المنفى، وأسرار تتعلق ببعض الأساقفة،

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٠٢ - ٢١١، ٢٢٨.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢١١ - ٢٥٤.



ورجال الدين المعادين له، رغم أنه في كل الرسائل كان حريصًا إلى حد بعيد في كلامه. ثم يحاول فيها أن يداوي أحزانها، ويهون عليها إخفاقها في نقله، ويؤكد لها أنه سعيد في كوكوسس، ويتساءل: لماذا لم تصل لها الرسائل التي أرسلها من قبل؟ والتي كان من ضمنها رسالة مع الجنود، وأخرى مع خادمها.^(١) وهنا ظهرت مهمة أخرى للشماسة أولمبياس حينما طلب منها القديس يوحنا أن تكون رسولاً لبعض الأساقفة والشماسة وهو دور الشماسة في التواصل بين أعضاء المجتمع المسيحي، وهذا الدور هو المكمل للخدمات الدينية والخيرية التي كانت تقوم بها.^(٢)

ويظهر بوضوح أنه حتى ذلك الوقت كان وضع القديسة أولمبياس المادي جيدًا؛ لأن القديس يوحنا اكتسب شهرة واسعة حتى في منفاه، نظرًا لأعمال الخير التي كان يقوم بها؛ حيث كان يحصل على الأموال بسخاء من القديسة أولمبياس ومن شماسات أخريات، ويقوم بتحرير الأسرى الذين يتم خطفهم وإعادتهم إلى أهلهم، لذلك لم يكن محبوبًا في أرمينية فقط - حيث كان يقيم - ولكن أيضًا في معظم مدن سوريا وقيليقية.^(٣)

ثم ترجع الرسائل القصيرة من جديد، فالرسالة الحادية عشرة ليس فيها جديد سوى أنه يصبرها ويبشرها بالسعادة التي تنتظرها جزاء للصبر، ولكن الرسالة الثانية عشرة

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٥٥ - ٢٦٣.

- على الرغم من منفى يوحنا وصعوبة أحواله فإنه كان يتصل بقسم الكنيسة الشرقي الذي كان متعلقًا به، وكان يدير من منفاه بعض المناطق المسيحية، ويشرف على الإرساليات التبشيرية إلى سوريا، وبلاد العجم، والقوط شمال الدانوب، وهذه الجهود كانت تستند قوته. انظر: الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٧.

(2) Pylvanainen, The Tasks of Female Deacons, p.5.

(3) Socrates and Sozomenus Ecclesiastical Histories, p. 936. See also: Karras, V., "The Liturgical Functions of Consecrated Women in the Byzantine Church," *Theological Studies*, 66 (2005), p.100.



في بداية عام ٤٠٥م تميط اللثام عما حدث للقديسة بعد محاكمتها، والتي لم تظهره المصادر المعاصرة، ففي بداية الرسالة يهون عليها وينصحها ألا تبكي، مؤكداً لها أن الطرد، والتشرد، والضرب في مجاهل الأرض، ومصادرة الأموال، وجرها إلى المحاكم، وإرهاب الجنود لها، وسوء المعاملة التي لاقتها ممن أغدقت عليهم الخيرات، كل ذلك ثمن لنعيم السماء، وطلب منها ألا تتأثر بالاضطهادات، والإهانات، وفقد الأموال، والتثقل الدائم في حياة المنفى، وفي نهاية الرسالة يوضح لها سروره بسبب تخلصها من القضايا والدعاوى بشرف وكرامة. (١)

وهكذا لم يختلف مصير القديسة عن مصير كثيرين غيرها لمجرد اتباعها للقديس يوحنا، فتعرضت للنفي، ومصادرة الممتلكات، والإهانة، والحرمان من الأهل والأصحاب. ولا غرابة فيما تعرضت له القديسة من نفي ومصادرة للممتلكات؛ نظراً لصدور المرسوم الإمبراطوري الذي ينص على أن كل أسقف لا يشترك مع أسقف القسطنطينية أو الأسقف ثيوفيلوس، يطرد من الكنيسة ويجرد من ممتلكاته، وأصحاب المناصب العليا يتم تجريدهم من وظائفهم، أما عامة الناس فيتم توقيع غرامة ثقيلة عليهم ونفيهم. (٢)

وفي ربيع عام ٤٠٥م كانت القديسة مريضة، وهذا الخبر أزعج القديس يوحنا كثيراً، لدرجة أنه كان يسأل عنها القاصي والداني، كي يطمئن عليها، ولم ينتظر رسالتها، ولما علم أنها تعافت فرح فرحاً شديداً، لكنه نوه إلى أنها تجلس في غرفتها الضيقة هادئة مطمئنة. وهنا يسترعي انتباهنا عبارة: "غرفتها الضيقة" فهذا الأمر يبدو غريباً على القديسة التي اعتادت على القصور، والبيوت الواسعة ويحيط بها الخدم هنا وهناك، رغم نفيها إلى نيقوميديا؛ لأنها كانت ترسل للقديس يوحنا الخدم،

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٦٤-٢٦٧.

(٢) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٢٩-١٣٠؛

Socrates and Sozomenus Ecclesiastical Histories, p.931.



وتتصل بالكثيرين أصحاب السلطة، فربما تكون في ذلك الوقت قد تحددت إقامتها عنوة في مكان ضيق منعزل، أو أنها لم تفقد ممتلكاتها بالكلية، لكنها فرضت على نفسها العزلة في غرفة ضيقة تعيش فيها زهداً في الحياة، والتفسير الثاني هو الأقرب نظرًا لما ورد في الرسالة ذاتها قائلاً: "إن خدامك قد وصلوني في الوقت الذي تعافيت فيه من مرضي الشديد" فهي قادرة على أن ترسل خدامها للقديس يوحنا ومعهم المؤمن، وقدرتها هذه تعضد التفسير الثاني؛ بأن القديسة كان لا يزال لديها ممتلكات، وتعيش في بيت واسع، لكنها فرضت العزلة على نفسها في حجرة ضيقة ورعاً وزهداً.^(١)

حينئذ كانت الابتلاءات تشتد على القديسة من جوانب كثيرة؛ حيث تم الاقتراء عليها من قبل أعدائها بأن أظهرها أمام الناس مشعلة لنار الفتنة، وهذا الاقتراء من وجهة نظر القديس يوحنا أشنع أنواع الاقتراء؛ لذا فإنه في الرسالة الرابعة عشرة يطلب منها الصبر على طردها من بيتها وبلدها، وحرمانها من أصدقائها وأقاربها في المنفى، فضلاً عن الاقتراء عليها.

وازداد العداء ضدها واشتعل من جديد من قبل أعدائها عام ٤٠٦م لذلك طلب منها القديس يوحنا أن تضع نبال أعدائها تحت قدميها، وألا تكثرث لأمرهم، وأن تشجع النساء اللاتي يناضلن معها على الصبر والتحمل، وأخذ يسوق لها العبر والعظات في الصبر من حياة الأنبياء والصالحين.^(٢)

وكان ثيوفيلوس أسقف الإسكندرية أكثر المعادين للشماسة أولمبياس؛ حيث لعنها واعتبرها خارجة عن الكنيسة بحجة أنها استقبلت الرهبان الذين طردهم في بيتها، بعدما اختلّفوا معه في بعض القضايا، وقدمت لهم واجب الضيافة، فهذا الشخص كان يتعنت ويظلم كل من يخالفه، وبعدها كان يتزلف للقديسة أولمبياس لاستمالتها ونيل رضاها كي يحصل منها على المال - انقلب عليها، ولعنها وأصبح ألد أعدائها هو

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٦٨ - ٢٧٢.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٧٢ - ٢٨٢.



وأنصاره، خاصة بعدما لم يعد باستطاعتها أن تقدم له شيئاً أكثر من الطعام وواجب الضيافة.^(١) وبدأ العداء بعدما توفي الأسقف نكتاريوس أسقف القسطنطينية عام ٣٩٧م وأصبح كرسي الأسقفية شاغراً، فطمع ثيوفيلوس في هذا الكرسي إن لم يكن لنفسه فلأحد أتباعه، وحينما تقلد القديس يوحنا الأسقفية لم يكن ثيوفيلوس ليرضى بذلك، وأخذ يتربص له ويترصده كل أعماله، وكان له تأثير ونفوذ يمتد في كثير من مدن الشرق؛ حيث كان أساقفة نيقوميديا وخلقذونية وأفسس وحلب يشايعونه، وجاء القديس يوحنا على النقيض من نكتاريوس الذي كان يعيش عيشاً مترقفاً في قصر مليء بالحريز والمفروشات والأحجار الكريمة، يستقبل الكثير من الناس والشخصيات البارزة على موائد فخمة، لكن يوحنا حينما جاء أزال كل مظاهر الترف والبذخ، وأعاد التنكشف إلى الحياة الأسقفية كسابق عهدها، ونصح أولمبياس أن تحسن إدارة ثروتها، وأن تتفق منها على المحتاجين فقط، فأخذت القديسة بنصيحته؛ لذا غضب ثيوفيلوس وأمثاله وأخذ يحيك المؤامرات، ويشترى الأنصار، ويستميل السلطة الإمبراطورية.^(٢) كما كانت هذه النصيحة سبباً في غضب وعداء الكثير من رجال الدين والرهبان وعلى رأسهم سيرابيون Serapion رئيس الشمامسة في كنيسة القسطنطينية الذي كان طامعاً في ثروة أولمبياس أيضاً.^(٣)

(١) بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ١٨٥ - ١٨٧، ١٩٣.

- قيل عن ثيوفيلوس إنه كان يكره الأتقياء، فلقد نعت إبيفانيوس أسقف قبرص لمدة ستة وثلاثين عاماً بالهرطقة، وأنه منشق عن الكنيسة، ثم لعن القديس يوحنا، ثم لعن القديسة أولمبياس، بحجة أنها استقبلت في بيتها الرهبان الذين طردهم؛ لذلك اتهمه البعض بأنه لا يحب أحداً، وأنه عدو لنفسه. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ١٨٥ - ١٨٩.

(٢) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٣، ١٥؛ سوزومين، التاريخ الكنسي، ص ٧٨٠ - ٧٨١.
(3) *Socrates and Sozomenus Ecclesiastical Histories*, p.906.

- "أرشيدياكون" أو رئيس الشمامسة، كان يتم اختياره إما بحكم الأقدمية، أو الانتخاب من قبل الشمامسة الآخرين، وإما يعينه الأسقف، ويساعد الأسقف في المذبح وينظم الشمامسة الآخرين، ويتصرف في غياب الأسقف، ويساعده في إدارة إيرادات الكنيسة، وغالباً ما كان يخلف الأسقف. انظر: بالاديوس، حوار عن حياة قم الذهب، ص ٣٩، هامش (٤٧).



ويبدو غريباً من الوهلة الأولى أنه لم يرسل لها سوى رسالة واحدة عام ٤٠٦م، في حين أنه أرسل لها عام ٤٠٥م ثلاث رسائل، وعام ٤٠٤م إحدى عشرة رسالة، لكنه وضح لها أن عدم كتابته إليها كان بسبب انتشار الطاعون، والجوع، وقطاع الطرق. ولا ننسى دور الإمبراطورة إيودوكيا في محاولة منع رسائله، بعدما أصيبت بخيبة أمل من استمرار سلطة الأسقف المنفي^(١). وفي الرسالتين الأخيرتين نجد الوضع قد ازداد سوءاً لكليهما، ففي الرسالة السادسة عشرة يحاول أن يشد على يدها ويؤازرها بسبب الاضطهادات، والإهانات، والاضطرابات التي تحيط بها، ويقدم لها العبر والعظات من حياة السلف الصالح، ويطلب منها ألا ترسل له أحداً؛ كي لا يلقي حتفه بسببه. أما رسالته الأخيرة لها فيبدو من خلالها أن المرض والحزن كانا قد سيطرا على القديسة، لدرجة أنها كانت تتمنى أن تترك هذا العالم، وفي هذه الرسالة حاول أن يخفف عنها، وطلب منها ألا تكثر بشأن صحته، وقسوة الشتاء عليه، ووصف لها نوعاً من الدواء طلب منها أن تتناوله حتى تتماثل للشفاء، وأن ترسل له هذا الدواء أيضاً؛ لأنه نفذ من عنده، وألا تدع الحزن يسيطر عليها بسبب تفرقهما، وأخذ يسوق لها العبر والعظات في الصبر من حياة الأنبياء والصالحين، موضحاً المصائب التي حلت بها من فقدان المقتنيات، والأملاك، والمناصب، والنفي، والمشقات، والمتاعب، والشتائم، والإهانات، ومهاجمة الأعداء، والسجن، والقيود^(٢). وهنا أشار القديس يوحنا للمرة الأولى إلى السجن والقيود، فمن الممكن أن تكون القديسة قد تعرضت للسجن في وقت من الأوقات ووضعت القيود في قدميها مثل غيرها، لكن الثابت أنها كانت في نيقوميديا، كما وضح لنا القديس يوحنا، ويبدو أنها لم تنتقل منها؛ لأنه لم يشر لذلك في إحدى رسائله.

(1) St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, p.18.

(2) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٨٢ - ٢٩٢.



وبعد هذا العرض لأهم ما ورد في رسائل القديس يوحنا للقديسة أولمبياس قد يظن القارئ أن هناك علاقة حب مادية كتلك التي نراها بين العشاق، وما يصاحب ذلك من ألم وحزن وبكاء لفراق المحب لحبيبه، ولكن إذا وضعنا في عين الاعتبار تلك التضحيات التي قدمتها أولمبياس من نبذ لجميع متع الحياة بكل لذاتها، مع توافر تلك اللذات، وقدرتها على أن تعيش حياة القصور والنعيم، وتتزوج من الأسرة الحاكمة، فضلاً عما كانت تملكه من مقومات شديدة في المال والجمال؛ ولكنها مع ذلك كله زهدت في كل متع الحياة، مقبلة على الله بطاعتها وعبادتها وفعل الخيرات ومساعدة المحتاجين والتصدق عليهم بكل ما تملك، وتوجيه أموالها وأراضيها في كل باب من أبواب الخير، وإمداد الكنائس ورجال الدين وكل من يأوي إليها فقيراً أو غنياً بكل ما يحتاجونه من مال وأراضٍ، فضلاً عن تعرضها لكثير من الإيذاء وفقدان المقتنيات، والأملاك، والمناصب، والنفي، والمشقات، والمتاعب، والشتائم، والإهانات، ومهاجمة الأعداء، والسجن، والقيود، إذا ما وضعنا ذلك في عين الاعتبار يظهر لنا جلياً طبيعة العلاقة الروحية النظيفة التي ربطتها بالقديس يوحنا، حيث كان القاسم المشترك بينهما هو الإخلاص للرب وفعل الخيرات وخدمة الدين والصبر على الابتلاءات، فوجدت فيه المثل الأعلى والركن الركين الذي يحثها على التجرد والتصبر على متاعب الدنيا، كما وجدت فيه طريقها إلى الهداية أستاذاً ومعلماً ونبراساً تقتدي به وبعظاته، فنشأت بينهما علاقة روحية كتلك التي نراها بين النبي وحوارييه، أو الولي ومريديه، علاقة خالية من كل شائبة من شوائب الدنيا المادية، لا فيها متع، ولا هم منها يتلذذون.

أما عن نظرة القديس يوحنا للنساء بصفة عامة وللقديسة أولمبياس بصفة خاصة فنجد أنه قد اختار حياة الرهبنة والتشف، وأحجم عن الزواج وهو في عنفوان شبابه، وتوطدت علاقته بالقديسة أولمبياس بعدما كان قد تخطى الخمسين من عمره، ومن



عظاته للرعايا المسيحيين عند اختيار الزوجة الصالحة أن يبحثوا عن المرأة الطيبة، الكريمة، المطيعة، الحكيمة ذات الأخلاق العالية، وأمرهم أيضاً في عظاته ألا يحتقروا الفقراء وأن يُبدوا احتراماً للأغنياء.^(١)، وهكذا نجد أن جميع صفات المرأة المثالية من وجهة نظر القديس يوحنا قد توافرت في القديسة أولمبياس، فكان يدعوها في رسائله بـ"سيدتي الشماسة أولمبياس صاحبة الجلال والإجلال".^(٢) وفي هذه العبارة من التبجيل ما يدل على أنه لم ينس في يوم من الأيام أنها كانت سيدة من سيدات القصر الحاكم الأرستقراطيات حتى بعد أن انتقلت إلى حياة الزهد الكنسية؛ احتراماً لأصلها ولقدرها. رغم ما قيل عن القديس يوحنا من أنه كان كارهاً للنساء، ويعتبرهن أقل شأنًا من الرجال^(٣)، ولم تقتصر مراسلات القديس يوحنا في المنفى على القديسة أولمبياس، بل تعدت أيضاً إلى أصدقائه من الرجال والنساء حتى بلغت منه إليهم ٢٣٦ رسالة^(٤). توفي القديس يوحنا في الرابع عشر من سبتمبر عام ٤٠٧م، ولم يعرف للقديسة الشماسة تاريخ وفاة محدد، إلا أنها توفيت بين عامي ٤٠٨ و ٤٢٠م^(٥). وربما توفيت عام ٤٢٠م وقام برثائها جميع الفقراء في أنحاء البلاد^(٦)، وقيل أنها توفيت عن عمر

(١) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ١٧٨، ١٧٠.

(2) Jean Chrysostome, *Lettres à Olympias*, p.11.

(3) Yamada, N., "Pelagius' View of Ideal Christian Women in his Letters, Critical Perspectives of Recent Pelagian Studies Comparing Chrysostom's View in his Letter to Olympias, Nazan University, Japan, 2020, p.31.

(٤) الذهبي الفم، الرسائل إلى أولمبيا، ص ٢٤؛ انظر أيضاً:

Ford, St. John Chrysostom and his views on Women, p.118.

(5) St. Chrysostom, *Select Homilies and letters*, pp.17-18.

(6) *History of the Christian Church*, Vol.III, p.183.



بناهز ٤٥ عاما في نيقوميديا^(١)، وبوفاة القديس يوحنا وتوقف رسائله تنقطع المعلومات عن مصير القديسة في المنفى.

كان ذلك عرضاً لنشأة وحياة قديسة من أكرم القديسات في تاريخ الكنيسة، رفضت حياة الترف والرفاهية، واختارت حياة الزهد والتقشف والتقرب إلى الله، فهي كما يرى القديس بالاديوس: "مخلوق رجولي، إنها رجل في كل شيء ما عدا الجسد، رجل في حياتها، وفي عملها، وفي حكمتها وعلمها، وفي صبرها على البلاء"^(٢). ووصفها الأسقف جريجوري النازيانزي بقوله: "مجد الأرامل في الكنيسة الشرقية"، وفي الحقيقة لم يقتصر تقديسها على الكنيسة الشرقية فقط، إنما تعدى تقديسها أيضاً إلى كنيسة روما، حيث خصص لها عمود من بين ١٤٠ عموداً بساحة القديس بطرس^(٣).

(1) Eliot, S., *History of Liberty, the Early Christians*, Boston, 1853, vol.II, p.276.

(2) Halsall, *Women's Bodies, Men's Souls*, pp.198-199.

(3) بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ص ١٨٤، هامش ٥١١.



الخاتمة:

- وبعد.. فقد تتبعت الدراسة حياة قديسة من أعظم القديسات في تاريخ الكنيسة الشرقية وخلصت إلى:
- كان لتعلم أولمبياس على يد ثيودوسيا واحتكاكها برجال الدين والقديسين أثر كبير في تكوين شخصيتها واختيار طريق الزهد.
 - انتهت الحياة المترفة للقديسة في سن مبكرة لها بوفاة زوجها نبريديوس عام ٣٨٦م ولم تكن تتجاوز العشرين من عمرها.
 - رفضت أولمبياس الزواج ثانية من أحد أقارب الإمبراطور ثيودوسيوس، ولم تكثر بضغوط الإمبراطور عليها ومصادرة ممتلكاتها.
 - خلال السنوات الأربع التي صدر فيها ثيودوسيوس ممتلكاتها اعتادت أولمبياس على حياة الزهد والتشف، وتقربت من الفقراء واتجهت لدراسة الكتاب المقدس.
 - بعدما أعاد ثيودوسيوس ممتلكاتها كانت أولمبياس قد رغبت عن الدنيا، فأخذت تهب ممتلكاتها وتتصدق على الفقراء والمحتاجين والمؤسسات الكنسية بكرم زائد، بل وصل سخاؤها المفرط إلى أنها كانت تتصدق أيضاً على الأغنياء.
 - قام نكتاريوس أسقف القسطنطينية بترسيم أولمبياس شماسة في كنيسة القسطنطينية، رغم أنها لم تكن تتجاوز الثلاثين من عمرها، واعتبر أن كل ما قدمته للكنيسة ورجالها من تبرعات، وكذلك تقواها وعلمها - من الصفات التي تؤهلها أن تكون شماسة.
 - بعدما أصبح القديس يوحنا ذهبي الفم أسقفًا للقسطنطينية توطدت العلاقة الروحية بينه وبين القديسة أولمبياس؛ نظرًا لتوافق أهدافهما الدينية والروحية في إرضاء الرب وأعمال الخير.



- ظهرت بعض التكتلات العدائية ضد القديسة من بعض رجال الدين الطامعين في ثروتها وعلى رأسهم الأسقف ثيوفيلوس، بعدما التزمت بنصيحة القديس يوحنا في الحفاظ على ثروتها وعدم توزيعها على الأغنياء.
- بعد نفي القديس يوحنا تعرضت القديسة لإهانات جمة من رجال الإمبراطور ورجال الدين المعادين لها.
- صمدت القديسة في وجه السلطة السياسية والكنسية؛ دفاعًا عن مبادئها، ولم تعترف بشرعية الأسقف أرساكيوس، ودفعت ثمن ذلك نفيها ومصادرة ممتلكاتها.
- التزمت معظم المصادر المعاصرة الصمت عن مصير القديسة بعد نفيها إلى نيقوميديا، وأماطت رسائل القديس يوحنا اللثام عن بعض أخبار حياتها في المنفى.
- ألمّ الحزن والألم كثيرًا بالقديسة؛ لفراق أبيها الروحي ومثلها الأعلى القديس يوحنا، وظلت تحت تأثير حزنها ووجدتها عليه، حتى مرضت وتوفيت في نيقوميديا.



قائمة المصادر والمراجع

المصادر الأجنبية:

- Jean Chrysostome, *Lettres A Olympias vie D'olympias*, trad.A. M. Malingrey,
Anne-Marie Malingrey, Paris, 1968.
- Gregory of Nazianzum, *The Divine, a Contribution to the Ecclesiastical History of the fourth Century*, trans. C. Ullmann and G.V.Cox, London, 1855.
- Gregory of Nyssa, *The Letters*, trans. A.M. Silvas, Brill, Leiden , 2007.
- History of the Christian Church*, Vol.III, ed. Ph. Schaff, The Nicene and Post. Nicene Christianiry, A.D. 311-600, New York, 1982.
- Julian, *The works of the Emperor Julian III*, trans. W.C. Wright, London, 1923, Vol. III.
- Lives of the Saints with Reflections for every Day in the Year*, trans. R.A. Butler, New york, 1887.
- Lives of the Saint*, Vol. I, ed. R. S. Baring – Gould, London, 1872.
- Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, Australian Association for Byzantine Studies, BYZA 4, Melbourne, 1986.
- Paschale, *Chronicon Paschale*, 284 – 628 AD, trans. M. Whitby and M. Whitby, Liverpool University Press, 1989.
- Photius, *The Bibliotheca*, trans. N.G. Willson, London, 1994.
- Socrates and Sozomenus Ecclesiastical Histories, Nicene and Post-Nicene fathers Series*, Vol.II, ed. Ph. Schaff, Christian Classics Ethereal Library,1886.



-St. Chrysostom, *on The priesthood; Ascetic Treatises; Select Homilies and Letters; Homilies on the Statutes*, New York, Christian Literature Publishing, 1886.

-*The Seven Ecumenical Councils, Nicene and post- Nicene fathers Series*, Vol.14, ed. Ph. Schaff, Christian Classics Ethereal Library, 1876.

-Zosimus, *New History*, trans. R.T.Ridley, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sydney, 2006.

المراجع الأجنبية:

-Bardill ,J.," The Church of Sts . Sergius and Bacchus in Constantinople and the Monophysite Refugees " , *Dumbarton Oaks Papers* , vol. 54 .(2000), pp.1-11.

-Barnes, T.D., "Emperors and Bishops of Constantinople (324–431)," in: *Christianity, Democracy, and the Shadow of Constantine*, New York, 2017, pp.175-201.

-Barry,J.,*Bishops in Flight, Exile and Displacement in Late Antiquity*,University of California Press, 2019.

-Boyer – Hunyor, R.A., *St. John Chrysostom and St. Olympias, Deaconess: a Model for the Collaboration of Men and Women in Church Ministry*, Ph. M., University of Dayto, 2009.

- Clark, E.A., *Jerome, Chrysostom and Friends*, New York, 1938.

- Cusak, M. F., *The Deaconess Movement* *The North American Review*, Vol. 155, No. 429 (Aug., 1892), pp. 245-248.

- Ford, D. C., *Misogynist or advocate? St. John Chrysostom and his views on*

Women, Ph.D., New Jersey,1989.



- Halsall, P., *Women's Bodies, Men's Souls: Sanctity and Gender in Byzantium*, Ph.D., New York, 1999.
- Karras, V., "The Liturgical Functions of Consecrated Women in the Byzantine Church," *Theological Studies*, 66(2005),pp.96-116.
- Kavanagh, J., *Women of Christianity, Piety and Charity*, London, 1852.
- Liew, S.N.C. and Montserrat, D., *from Constantine to Julian : Pagan and Byzantine Views, A source history*, New york, 1996.
- McCarty, V.K., " The pure, Eye of her Soul: the Asceticism of the Deaconess Olympias as Reflected in the Writings of the Father, " *Orthodox Monasticism*, New york, 2011, pp.1-16.
- Oxford Classical Monographs*, Oxford University Press, 1996.
- Pylvanainen,P.,*Agents in Liturgy Charity and Communication, The Tasks of Female Deacons in The Apostolic Constitutions*, Brepols,Belgium, 2020.
- Turnator, E., *Monks and Monasteries in Constantinople: (Fourth to Ninth Centuries)*, Ph.D., 2003.
- Walsh, E. M., *Wisdom as it is Manifested in the Theotokos and the Women Saints of the Byzantine Era*, Ph.M., the American University, 1980.
- Yamada, N., "Pelagius' View of Ideal Christian Women in his Letters, Critical Perspectives of Recent Pelagian Studies Comparing Chrysostom's View in his Letter to Olympias," Nazan University, Japan, 2020, pp.1-22.

المصادر العربية:

- بالاديوس، حوار عن حياة فم الذهب، ترجمة هيربرت مور، تعريب بولا ساويرس، مشروع الكنوز القبطية، ١٩٢١م.
- سقراتيس سكولاستيكوس، التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب بولا ساويرس، سلسلة "المؤرخون الكنسيون الأوائل"، مشروع الكنوز القبطية، ٢٠١٧.



- سوزومين، *التاريخ الكنسي*، ترجمة تشستر هارترافت، تعريب بولا ساويرس، سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ٢٠١٧ م.
- فيرجيل جيورجيو، *القديس يوحنا الذهبي الفم*، تعريب الأسقف جبران الرملاوي، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١ م.
- مار ميخائيل السرياني الكبير، *تاريخه*، عربي: مار غريغوريوس صليبا شمعون، دار الرها-ماردين، ١٩٩٦.
- يوحنا الذهبي الفم، *في الكهنوت، أحاديث عن الزواج والرسائل إلى أولمبيا*، تعريب الأسقف إستفانوس حداد، سلسلة آباء الكنيسة، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٢ م.

المراجع العربية:

- تادرس يعقوب ملطي، *القديس يوحنا الذهبي الفم*، مجمع السنديان ونقيه (٤٠٣-٤٠٧)، منشورات الكنوز القبطية، الإسكندرية، ج٣، ٢٠٠٣.
- سهير محمد مليجي علي، *الصراع بين السلطتين الدينية والسياسية في الدولة البيزنطية*، يوحنا ذهبي الفم، *بطريرك القسطنطينية نموذجًا*، (٣٩٨ - ٤٠٧ م)، *حولية التاريخ الإسلامي والوسيط*، العدد الثاني عشر (٢٠١٨ - ٢٠١٩ م).
- وسام عبد العزيز فرج، *الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع*، بحث منشور في *كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.